

نور سورية

NOUR SYRIA

يا شام هل يحجز الأشواق قضبان؟ *** أم يحجب الطيف أسوار وجدران
قد استوينا فكل رهن محبسه *** للظلم من حوله سوط وسجان
لنا إذا هبت الأنسام لاعجة *** من حرقة الوجد فالأكباد نيران
يغشى الأسى ناظرينا كلما ومضت *** في الأفق بارقة تخبو وتزدان
إذا تألق في عليائها أمل *** هوى إليه هوى وانساب ألحان
لا عتب أن فرقنا للنوى سبل *** فالدهر ذو دولة والوصل ميان
وهكذا تنضب الأرواح نازفة *** بكل جرح مرارات وأشطان
لم يبق إلا صبايات نجاذبها *** لا ترتوي فالجوى باليأس حران
نباكر الغم في الإصباح متقدماً *** وفي العشية آهات وأشجان
تطير أرواحنا شوقاً ولو قدرت *** طارت إليكم مع الأرواح أبدان
أنتم ندامى الهوى ما للهوى بدل *** منكم إذا سامر المشتاق ندمان
لسنا من الحب في شيء لو انصرفت *** عنكم صبايتنا أو ضل وجدان
نسلو الحياة ولا نسلو تذكركم *** وهل تداوى بغير الذكر ولهان
وحسبكم أنكم في القلب مسكنكم *** حيث الأسى راتع واليأس حيران
عسى ترأسلُ أشواقٍ يعلننا *** وربما خفتت بالشوق أحزان
وأصر الحب كل الحب تجمعننا *** رغم القيود أما قد قال حسان:
إما سألت فإننا معشر نجب *** الأزد نسبنا والماء غسان

وكل ناعورة بالشام نادية *** عهد الوصال فهل للهيض جبران

* * *

الله أكبر! هذا الظلم فرقنا *** وللمقادير إيلاف وإطعان
كأنه لم يكن بالمرج مرتعنا *** ولم يكن في ربي جيرون جيران
ولم يكن في الثغور الغر مرصدنا *** وفي المضائق حراس وسكان
وفي السواحل نيران وأربطة *** وفي الجزيرة أحباب وإخوان
وفي المدائن أنساب مؤلفة *** وفي العشائر أصهار وأختان
وأعذب الحب ما كانت موارده به *** القدس، أواه هل للقدس نسيان

* * *

يا شام يا معقل الإسلام ما ركضت *** بلق الخيول ومد الظل أفنان
إذا تضاعل هذا الحب عن بلد *** ففي مراتبكم فيء وأكتان
تالله ما الغوطة الغناء منيتنا *** وفي مسارحها للحسن غزلان
ولا رسوم لأجداد بساحتكم *** إذ كان يملكها أزد وزهران
ولا صبا بردى يسبي مشاعرنا *** لكنما حبكم دين وإيمان

* * *

من البراق أصول الحبّ قد بزغت *** وقد أضاعت لها بصرى وحوران
إذا سرى الطيف منكم وانثنى *** سحراً يهيج بالقلب للإسراء عنوان
لله حبّ، رسول الله أسسه *** وهل لنا غيره أس وأركان
وقام من بعده الصديق يورده *** والشرق والغرب نيران وصلبان
بعزيمة عقد الرايات مرتقباً *** بشرى الرسول وأمضى وهو عجلان
وقال: إن لم نبادرهم بمعمعة *** تنسي الحلوم فلا كنا ولا كانوا
والدهر ما عزم الصديق مرتجف *** والأرض مائدة والبحر طوفان
إذا تحنن فالإعصار مرحمة *** وإن تواعد فالأنسام حسابان
يعطي وليس لمخلوق عليه يد *** إنفاقه حسبة، والعقّ إحسان
دع ليلة الغار فالقرآن خلدها *** تقاصرت همم عنها وأزمان

* * *

والروم قد أثخت في الفرس عن حنق *** فالشام قلب وباقي الملك جثمان
حلاوة النصر لا زالت تداعبها *** ونشوة النصر في الطغيان طغيان
لكن قلب هرقل واهن وجل *** تصارعت فيه أنوار وأوثان
لديه من سابق الأخبار عن سلف *** من النبوات آيات وبرهان
شمس الرسالة هذا حين مطلعها *** فلتبتهج بسنا الرحمن أكوان
"ساعير" و"الطور" للإسلام تقدمت *** والنور تعلنه في الأرض "فاران"
والله يختار مما شاء مرسله *** والخلق ليس لهم رأي ولا شان
والملك في فرع إسماعيل منتقل *** حتماً ولو كرهت روم ويونان

ملك الختان بدا في الأفق شاهده *** فبان أن الملوك القلف قد بانوا
وأخمدت نار كسرى حين مشرقه *** واهتز بالشرفات الشم إيوان
تلا كتاب رسول الله في أدب *** وقال للروم والأرصاد حيطان:
هذا الرسول الذي كنا نؤمله *** فالعين نائمة والقلب يقظان
وهذه الشام للمبعوث عاصمة *** للسيف ظل وللزيتون أغصان
إن اتبعناه فالدنيا لنا تبع *** وسائر الناس خدام وولدان
وإن أبينا فأمر الله غالبنا *** وملكنا ضائع والسعي خسران
* * *

نعم! "هرقل" لقد أسمعتَ ذا صمم *** لو كان للقوم آذان وإنعان
أبت بطارقة الرومان موعظة *** وغلّ أحلامهم كبر وبهتان
والكبر ما كان في طياته حسد *** فشر وادٍ تردى فيه إنسان
إلا "ضغاطر" إن الله أكرمه *** وقال: يا قوم إن الحق فرقان
محمد نحن في الأسفار نعرفه *** فكيف يوبقنا في الكفر نكران
تواترت عندنا أنباء بعثته *** فالخلق ينتظرون الإنس والجان
لولاه ما هاجر الأحبار واصطبروا *** على لظى يثرب والشام أجنان
وللنبوة أعلام إذا نشرت *** أصغى وأبصرها بكم وعميان
وحي يصدق بعضاً بعضه أبداً *** توراة موسى وإنجيل وقرآن
والحق أوله مهد لآخره *** جبريل ناموسه والرسل إخوان
تقدس الله أن يدعى له ولد *** أو أن يكون له نذ وأعوان
وكلكم عارف ما قلت فاتبعوا *** حكيمة النمل إذ وافى سليمان
فأشعياء حكى أوصاف طلعتة *** كما حكى صورة بالرسم فنان
ودانيال فقد جاءت نبوته نصاً *** كما يبصر الإنسان إنسان
وفي المزامير يأتي أحمد فإذا *** كل الجزائر والأنهار خضعان
وسوف تُخدمه أقيالها سبأ *** وسوف تتحفه بالورد لبنان
ويهرع الناس نحو البيت عارية *** أطرافهم ولهم عج وألحان
تهدى إليه قرابين مقلدة *** تسوقها حسبة مصر ومديان
وفي شكيم له جيش ذوو غرر *** يقتص مما أراقت قبل رومان
وأرض بابل يعنو سحرها هلعاً *** إذا ترنم بالتهليل عربان
هم أمة الحمد والتكبير ديدنهم *** إذا علوا شرفاً أو لاح علوان
وفي النهار ليوث لا يساورها *** غمر وهم في ظلام الليل رهبان
هذا هو الملكوت الحق قد بزغت *** أنواره فالدجى المبهور وسانان
كأنني أبصر الأملاك تحمله *** وهم صفوف لمبداه وفرقان
وذا المبارك باسم الرب مقدمه *** بنوره محفل الأملاك زهوان
تمت على الحجر المرفوض نعمته *** فصار تاج الذرى والدين بنيان

أخفّض الله بنياناً ونرفعه؟ *** ويصطفي الله مختاراً ونختان
ويبتلي الله تقوانا فيلبسها *** من التعصب إغماط وشنآن
* * *

فمزقوه وقد كان الإمام لهم *** لكن تملكهم بغي وأضعان
كانت دمشق ترى هذا وتسمعه *** كذاك أصغت لقول الحبر جولان
وكل مؤتمر في أي محتضر *** غير السقيفة أسماراً وبطلان
بكي هرقل ولكن كان ذا جلد *** وقال قولة نصيح وهو لهفان
يا أيها الروم إن لم تسلموا فلنا *** في الصلح خير وبعض المر حلوان
وملك أحمد حد الشمس مبلغه *** والترك من جنده والصين أقنان
وسوف تسجد روما وهي صاغرة *** مهما تقادم أجيال وأزمان
قالوا: أندفع للأعراب جزيتنا *** أبناء هاجر هم للروم عبدان
فقال: يا ليتني عبدٌ لأعسفهم مُلكاً *** ولا ملك لي فيكم ولا شان
وكنيت ألثم من خير الورى قدماً *** يحيى بقبلتها روح ووجدان
وقد تمنى مسيح الله خدمته *** وحمل نعليه والإنجيل برهان
* * *

ثم انثنى من وراء الدرب مكتئباً *** إذ أقبلت لجنود الله فرسان
وكان ما كان مما الدهر سجله *** وشاهدت آية حمص وبيسان
ملاحم الحق واليرموك رايتها *** فاضت بها من روايي الشام شطآن
وكلما أوقد الرومان ملحمة *** هوى لنا شهب وانقض عقبان
جئنا صقوراً على شقر مضمرة *** وهم على الدهم يوم الروع غريان
قد انتضينا سيوف الحق ليس لها *** في النقع إلا جسوم الروم أجفان
وللبطولات أصداء مزلزلة *** سارت بها في فجاج الأرض ركبان
فما تظن بجيش في ذؤابته *** أصحاب بدر وسيف الله أركان
ملائك الله بالإرعاب تنصرهم *** لهم من الذكر أحراز وأحصان
تمضي القرون ونون الدهر عاجزة *** عن كتب أمجادهم والسطر عيان
* * *

ودّع - هرقل - وداعاً لا لقاء له *** ضاع الهوى فقد الأحلام هيمان
ودّع على حسرة ما كنت تعشقه *** مراتع العز حيث الملك جذلان
غال الحقيقة قوم أترعوا بطراً *** كما قد اغتالها في الدير رهبان
فاقنع بمشطور ملك الروم ما بقيت *** من البطاقة أطلال وعنوان
ومن يعظم رسول الله يجز به *** دنيا إذا فاته دين ورضوان
والحمد لله صان الله ملتنا من *** مثل ماعاث "قسطنطين" أو جان
وأورث الله أرض الأنبياء لنا *** والسيف للسيف أكفاء وأقران
والروم ما شئت من رأي ومن عدد *** لكنما الأمر توفيق وخذلان

وإنما خذل الرحمن مجمعهم *** كيلا يمن على الإسلام منان
وكي يظلوا عدواً دائماً أبداً *** لا يستكين لهم حقاً وأضغان

والشام بالشوق قد أخفت شماتتها *** والحب يوقده للصب كتمان
يا شام قد لاحت البشري على ظمأ *** واستشرف الفجر أكام وسيقان
حان اللقاء فتبهي وارقصي جذلاً *** فموكب الشوق للأعراس بستان
أبو عبيدة والتقوى تجلله *** هشت لملقاه آكام ووديان

وعانقته دمشق وهي غارقة في *** سكرة الحب والمشتاق نشوان
قالت: ألا أرتوي من مبسم سقطت *** منه فدى لرسول الله أسنان
هذا العفاف وهذا الزهد أذكرني *** يحيى الرسول فقل لي كيف أزدان
يا حبذا النور نور الله يغمري *** وحبذا الجند جند الله من كانوا
هذا الحوار لا ما كنت أحسبه *** إذ للنواقيس في الأرجاء إعلان
هذا الأمين كنوز الأرض تطلبه *** وكم سباها من الأحبار خوان
والزهد في الفاتحين الغر منقبة *** ما نالها قط عرييد ودنان
سل الفتوح التي كانت شريعته *** ما سار "اسكندر" أو سن "ساسان"
يا من وسادته ترس ومسكنه *** خص ومزوده ملح وأشنان
ما الشام قبلك إلا مقبر خرب *** تناثرت فيه أشلاء وأكفان
نور من الرحمة المهداة مقتبس *** أضاء والشام أدغال وغيран
إذا تزينت الدنيا بكى فرقاً *** متاعها عنده زور وبهتان

رديفه سيد الفتیان قاطبة *** من حشو برده علم وإيمان
أغر أبيض يحكي البرق مبسمه *** وكل منطقه در وعقيان
الذاكر الله إن قاموا وإن هجعوا *** الذكر روح له والصوم ربحان
قل يا معاذ فأبنائي تلامذة *** إذا نطقت وزهر الربع آذان

وهامت الشام شوقاً أن ترى عمر *** هو الزعيم وهذا الصحب أعوان
يا شام قد أقبل الفاروق فابتهجي *** فالجو من عقب الفاروق ريان
والأرض تهتز رعباً من جلالته *** ومن مهابته في السحب رعدان
سكينة الحق تملو وجهه أبداً *** فلا يواجهه في الدرب شيطان
وأيما سار في مغناك موكبه *** طابت بمرمشاه أعطاف وأردان
محدث ملهم جم مناقبه *** العبقريّة من سيماء تزدان
أستغفر الله هل شعري يحيط به *** وصفاً ولو أن هذا البحر ديوان
وهو الذي طالما جادت فراسته *** رأياً فوافقه بالوحي قرآن
يا حظ "جابية" بالركب قد شرفت *** وسائر الشام إصغاء وإذعان

هنالك ارتجل الفاروق رائعةً *** فيها من الحق دستور وتبيان
جلّى من الخطة البيضاء منهجها *** هو اجتماع وإخلاص وإيقان
* * *

وفجأة ضج هذا العرس وانقلبت *** أفراحه مأتماً تغشاه أحزان
نادى بلال فأبكى الشام قاطبة *** الصوت مختنق والحلق غصان
أثار ذكرى رسول الله فانتحبت *** وهل لذكرى رسول الله سلوان
لم يستطع لاسمه لفظاً وحق له *** إذ لوعة الحزن في الأحشاء نيران
فتلك أصدائه في الشام ما سكنت *** السهل مستعبر والسفح حنان
من كان في الملاء الأعلى أحبته *** فلا يعلله في الأرض خلان
رمضاء مكة تتلو بعده "أحد" *** و"الله أكبر" في الآفاق رنان
وصخرة القدس تدري أن فارسها *** نظير يوشع لا روم وكلدان
لما تسلمها الفاروق طهرها *** كما على الطهر أبقاها سليمان
* * *

يا فاتح القدس إن القدس قد سلبت *** وغالها بعدكم "ليفي" و"دايان"
وباعها الزمرة المستسلمون كما *** باع الحطيم بزق الخمر "غبشان"
الله والناس والتاريخ يلعنهم *** فهم على الذل أعيار وأنتان
لا دينَ لا غيرَ لا عقلَ لا رشداً *** العار مكسبهم والدرب غيان
على اليهود هم الأغمار خائفة *** لكن على قومهم عبس وذبيان
الخزي والخسر والشحناء ديدنهم *** لا يستقيم لهم أمر ولا شان
محض العداوة للإسلام يجمعهم *** وهم من الكفر أصناف وألوان
ولا تراهم على خير قد اتفقوا *** وهم على الشر أنصار وأعوان
مما أراقوا ومما أهدروا وطغوا *** ضجت إلى الله أفواه وأوطان
كل القداسات داسوها بأرجلهم *** باسم السلام وكم ذلوا وكم هانوا
حادوا عن الرشيد قصداً واستبد بهم *** في لجة التيه إيغال وإمعان
* * *

أعفّ عن ذكرهم إذ نحن في سمر *** عن الألى ذكرهم روح وريحان
صحابية المصطفى خير الورى أثراً *** ما رام منزلهم إنس ولا جان
لهم أحاديث في الإخلاص لو قرئت *** على الجلاميد أمست وهي كثنان
لولا الرسول لما كانوا أساتذة *** والناس من حولهم للمجد صبيان
هم زينة الدهر والتاريخ يلبسهم *** تاجاً يرصعه در ومرجان
لولا الرسول لما كانوا عباقرة *** فالوحي للفطرة الصماء بركان
هم الهداة الألى من نور حكمتهم *** عم الحضارة إنصاف وعرفان
* * *

إن الحضارة روح ليس ما نحتت *** من التماثيل يونان ورومان

أَيْنَ التَّسَامُحِ أَيْنَ الْعَدْلِ إِنِ صَدَقُوا *** أَيْنَ الْمَوَائِقِ هَلْ لِلْكَفْرِ مِيزَانُ
تلكَ الشَّعَارَاتِ زَيْفٌ يَخْدَعُونَ بِهِ *** وَهُمْ عَلَى الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ أَخْدَانُ
أَيْنَ الْمَآذِنِ فِي أَرْجَاءِ أُنْدَلُسٍ *** إِذْ ظَلَّ بِالشَّامِ أَدْيَارُ وَصْلِبَانُ
إِنَّا عَلَى الْعَهْدِ لَا نَخْتَانُ ذِمَّتَنَا *** وَلَا نَجُورُ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ خَانُوا
مَنْ تَعَلَّمَتِ الدُّنْيَا كِرَامَتَهَا *** إِذْ الْفَرَنْجَةُ قَطَعَانُ وَغِيلَانُ
مَتَى رَعُوا حَرَمَةَ أَوْ رَاقِبُوا ذِمَّةً *** رُوسٌ وَصَرْبٌ وَإِيطَالُ وَأَسْبَانُ!!
الْعَدْلُ فِي الْقَوْلِ وَالْأَحْكَامِ شَرَعْتَنَا *** إِنْ الْهُوَى لِلضَّمِيرِ الْحَيِّ فَتَانُ
هُمْ أَمْنَعُ النَّاسِ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ لَهُمْ *** إِلَّا عَلَيْنَا فَإِنَّ الظُّلْمَ إِحْسَانُ
وَإِنْ تَرِ الرُّومَ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَدَلُوا *** فَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ بَغِيٌّ وَعُدْوَانُ
فَانْظُرْ لِذُنَابِهِمْ فِي الشَّرْقِ إِنْ حَكَمُوا *** رُومٌ وَلَكِنَّهُمْ سَمَرٌ وَسُودَانُ
وَإِنَّمَا اقْتَبِسُوا مِنْ ضَوْءِ سِيرَتِنَا *** مَا أَيقَنُوا أَنَّهُ لِلْمَلِكِ أَرْكَانُ
لَوْلَا الْمَسَاوَاةُ وَالشُّورَى لَمَا غَلَبُوا *** وَلَا اسْتَقَرَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ عِمْرَانُ
وَنَحْنُ لَمَا انْحَرَفْنَا صَارَ حَاضِرُنَا *** فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَالاً كَالَّذِي كَانُوا
نَقْدُسُ "الْفَرْدِ" أَيَا كَانَ مِنْهَجُهُ *** "الْفَرْدِ" نَصَبٌ وَكُلُّ النَّاسِ سُدَّانُ
فَدِينُهُمْ دِينُهُ وَالشَّرْعُ شَرَعْتُهُ *** وَلَغَوْهُ سَنَّةٌ وَالْأَمْرُ قَرَّانُ

* * *

يَا شَامَ مَعْدِرَةُ زَاغِ الْحَدِيثِ بِنَا *** وَالْهَمُّ فِي النَّفْسِ أَشْتَاتُ وَأَشْجَانُ
أَكْرَمُ بِقَوْمٍ شَرُّوا لِلَّهِ أَنْفُسَهُمْ *** فَالْمَلِكُ عَارِيَّةٌ وَالرُّوحُ قَرْبَانُ
نَالُوا الشَّهَادَةَ إِذْ قَامَتْ وَسَائِلُهَا *** بِكُلِّ جَنْبٍ فُطَاعُونَ وَطَعَانُ
فِي الْمَرْجِ رَهْطٌ وَفِي عَمَّوَسَ طَائِفَةٌ *** حُمُّ الْقَضَاءِ وَمَا لِلْقَوْمِ أَكْفَانُ
مَا مَاتَ قَوْمٌ أَبُو الدَّرْدَاءِ خَالِفُهُمْ *** أَنْسَى بِحِكْمَتِهِ مَا قَالَ لِقْمَانُ
سَلْ قَلْعَةَ النَّصْرِ وَالْإِصْرَارِ هَلْ بَقِيَتْ *** مِنْ آلِ حَامِيمٍ أَصْدَاءُ وَبَنِيَانُ
إِذَا جَاءَ مِنْ طَيْبَةِ الْغَرَاءِ مَصْحَفُهَا *** لَمَا اعْتَنَى بِكِتَابِ اللَّهِ عَثْمَانُ
اللَّهُ يَجْزِيهِ خَيْرًا مَا سَمَى *** أَحَدٌ وَمَا تَأَلَّقَ بِالْتَرْتِيلِ نَعْمَانُ
لَوْلَا هَ كُنَّا كَأَهْلِ الدَّيْرِ إِنْ قَرَأُوا *** "مَتَى" يَكْذِبُهُ "يُوحَنَّا" وَ"سَمْعَانُ"
هَذَا الْحَكِيمُ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقْرُؤُهُ *** وَالنَّاسُ لِلْمَشْرِعِ الْمُرُودِ زَلْفَانُ
مَعْلَمُ الْخَيْرِ بِالْإِحْسَانِ يَذْكُرُهُ *** فِي الْبَرِّ نَمْلٌ وَفِي اللَّجَاتِ حَيْتَانُ
بَكَتْ دِمَشْقُ زَمَاناً مِنْ مَوَاعِظِهِ *** وَفِي الْقُلُوبِ يَنْابِيعُ وَصِلْدَانُ
وَإِنْ أَلَمْتُ بِهِ فِي الرَّأْيِ مَعْضَلَةٌ *** يَمِدُّهُ خَابِرُ الْأَدْيَانِ "سَلْمَانُ"
الْقَوْلُ إِنْ قَالَ أَمْثَالُ مَصْرُفَةٍ *** وَالْفِعْلُ لِلْمَقْتَدِي هَدْيٌ وَإِحْسَانُ
يَجْلُو قُلُوباً يَغْشَى الرَّانَ رَوْنَقُهَا *** وَيَرْتَقِي بِالنَّارِ فِي نَوْرِهَا غَانُ

* * *

وَالتَّابِعُونَ مِنَ الْآفَاقِ قَدْ وَفَدُوا *** أَزْدٌ وَقَيْسٌ وَأَنْمَارٌ وَخَوْلَانُ
فَلِلْجَوَامِعِ أَحْبَابُ مُحَلِّقَةٌ *** وَلِلرِّبَاطِ صَنَائِدٌ وَفَرَسَانُ

حياك يا أمة التوحيد ما طربت *** ورق وما ثملت بالشدو أفنان
ولى هرقل وولاها معاوية *** فعلم الروم أن اليأس سلوان
الحلم شيمته والغزو همته *** أرسى السفين كأن البحر قيعان
ما بين شاتية تغدو وصائفة *** ما فل عزم ولا وافاه خذلان
والصافنات أبو أيوب يزجرها *** وللمنايا أخايدٌ وخلجان
يا أشرف الصحب داراً طاب مضطجعٌ *** بساحة الروم نائي الدار ضحيان
جعلته معلماً يذكي عزائمننا *** إذا تخبطها دنيا وشيطان
ثم انبرى الخثعمي الشهم يوردها *** أصفى الموارد عزاً وهو نهلان
لله هذا الفتى ما كان أعظمه *** لانت صخور الرواسي وهو صوان
ستون عاماً قضاها في مرابطه *** لم توقد النار إلا وهو يقظان
وفي جنادة للأعداء مأسدة *** والغامدي الأبي القرم سفيان
وهل رأيت حبيباً حبه لهب *** إذا أديرت رحاها فهو طحان
يا شام ساء صباح الروم قد نزلت *** بساحة الروم أهوال وشجعان
ما أصبحت بالكماة الشم مترعة *** وعسها الليل إلا وهي جبان
* * *

وظل ديدننا هذا وديدنهم *** حتى اعترانا البلى والسعد ظعان
هنا استبدت بنور الحق غاشية *** وسنة الله أن الزيغ غشيان
ومن يزيد إلى الحجاج ما فتئت *** تشكو من الظلم أنحاء وأعيان
والظلم شؤم وشر الظلم ما ولغت *** فيه الملوك وأثرى منه سلطان
والناس إن بايعوا والسيف يخفهم *** فلفظهم ماح والقلب لعان
والناس تخدع من بالزيف يخدعها *** تطيعه صورة والسر عصيان
والكسروية في الإسلام محدثة *** أكلما مات حرب قام مروان
وفي أمية للإسلام مآثرة *** كما لهم ثلثة والله ديان
إن كفر الله عنهم بعض ما عقدوا *** واستأثروا فيما أمضى سليمان
لكن للعدل كراتٌ وإن ندرت *** تذكر الناس بالشورى متى بانوا
* * *

وكان أول وعد صادق عمر *** تبارك الله عين العدل إنسان
الراشد الماجد الميمون طائره *** عليه من سمة الفاروق تيجان
فأعجب له عمراً يقفو خطأ عمر *** كما همى صيبٌ يتلوهُ هتان
يا واعظاً وعظ الدنيا بسيرته *** روح من الرشد لا حيف وإدهان
والظالمون لهم يوم سيفجوهم *** إذا تسربلهم نار وقطران
* * *

تاريخنا هكذا حيناً عمالقة *** غر وحيناً طواغيت وأوثان
هذا يبيت ثقيلاً من مظالمها *** وذاك للرد والإنصاف سهران

وكم توثب فينا ثعلب ختل *** ودبر الملك قينات وخصيان
وكم تحكم باسم الدين طاغية *** وكم تحكم باسم العلم كهان
وكم رأيت دعاة الحق يقذفهم *** بلعام واستخدم الأشراف دهقان
إذا تأله فرعون على ملأ *** فهل يلام على الإفساد هامان؟
وأغفل الناس من تغلي رعيته *** غيظاً ويحسب أن الصمت إذعان
والناس ينسون إلا من يجرعهم *** مرارة الظلم ما للظلم نسيان
يدسه الجد للأحفاد مستعراً *** والأم ترضعه والثدي لقان
إذا الفراعين سنوا الظلم فلسفة *** تلطخت فيه أقلام وأنقان
باسم السياسة حل الظلم بل نسخت *** من الشريعة أعلام وأمتان
الرعب يستلب الأحلام يقظتها *** وبهرج الزيف للأنتظار دخان
* * *

ومرّ دهر ودنيا الشام خاملة *** منذ استبدت برأس الأمر بغداد
حتى اقتضت سنة الرحمن أن طرقت *** أبوابها من جيوش الكفر صلبان
وما الفرنجة إلا معشر همج *** أخنى عليه دهور وهو وسان
والدين للناس مفتاح يحركه *** باسم التعصب صديق وشيطان
وربما اعتذر الشيطان - سيدهم - *** مما افترى "بطرس" وافتات "أربان"
* * *

والترك لما تخلى العرب قد ورثوا *** عبء الجهاد فما هانوا ولا لاتوا
شجاعة الترك بالإسلام قد زكيت *** ليست كما ربها خان وخاقان
هم المغاوير لا ريث ولا وجل *** هم العماليق خيال وسفان
لا ترتوي من دماء الروم أنفسهم *** بل نابهم لهث عنها وإدمان
فإن شككت فسل عنهم عطارفة *** لما تعاورها روس وشيشان
هم وحدهم قد أذاقوا الروس ملحمة *** والروس للغرب كل الغرب أقران
والشام أبطالها من حاط ساحتها *** ولا تبالي متى جاءوا ومن كانوا
* * *

وهكذا جاء نور الدين فابتهجت *** في السهل عرس وفي الأبراج أحضان
أتى إلى حلب الشهباء ينقذها *** إذ كان لطحها بالرفض رضوان
وجاء بالسنة الغراء يبعثها *** هداً لكفر العبيديين إذ خانوا
خمسون حصناً بحد السيف حررها *** وكلها بالعلوج الشقر ملآن
قد عاهد الله أيماناً مغلظة *** وهو الصدوق وإن لم تعط أيمان
ألا يرى ساعة في الدهر مبتسماً *** ولا يقر له حال ولا شان
مادام في حوزة الكفار مسلمة *** يسومها الفحش دعار ومجان
ولا يظلل سقف ولا كنف *** ما قام للسيف إعمال وإثخان
ما نال من بيت مال المسلمين يداً *** وإنما رزقه بالوقف دكان

وزوجه تنسج الأستار صائمة *** نهارها وهي للإفطار أثمان
دار الحديث بناها فهي سامقة *** والعلم أس وباقي الأمر بنیان
ألغى المكوس وأقصى من تأولها *** والسحت مهما طغى غبن وخسران
والعدل والنصر مصفودان في قرن *** ومنتهى الظلم إدبار وخذلان
شر الملوك الذي يختان أمته *** في رزقها فهو مكاس ومنان
قل للمرائي بلا جهد ولا نصب *** أقصر لعنت فخير منك قزمان
* * *

وحسب محمود الأبواب مفخرة *** أن الرسول أتاه وهو نعسان
وقال: شأنك والعليين إنهما *** راما أذاي كما يندس ثعبان
فجاء طيبة يحدو العيس جاهدة *** وأحبط المكر فوراً وهو غيران
وحاط أظهر رمسٍ من قواعده *** فالردم من آنك والقطر أركان
تباً لروما فقد شابت ذرى أحدٍ *** لمكرها واقشعرت منه لبنان
* * *

واعجب وإن شئت قل لي كله *** عجب لمنبر صاغه تقوى وإيمان
عشرون عاماً ونور الدين يحمله *** وللمهندس تجديد وإتقان
من العراق إلى الأعماق يصحبه *** وما رقاہ - على الإطلاق - سبحان
والجيش يسأل هذا ما يراد به؟ *** إذ جاز في الشرع للإحسان إعلان
وإنما كان نذراً لا يبوح به *** للقدس، أواه هل للقدس جيران
قد رام أمراً فكان الموت سابقه *** ونية الخير بالإنجاز صنوان
وهذه الأمة العصماء ما شهدت *** إلا بحق وفي الأخبار تبيان
باسم الشهيد لنور الدين قد لهجت *** وللكرامات في الأرواح وجدان
ومن أتى الله بالإخلاص أورثه *** لسان صدق وعقبى الذكر رضوان
* * *

مرحى فهذا صلاح الدين ينجزه *** نعم الخليفة للإسلام معوان
أقام حطين في التاريخ ملحمة *** يشدو بها في فضاء الدهر أكوان
يا فارس القدس أرض الفتح تُقَطِّعُها *** وما لنفسك مثل الجند بستان؟
كم مات من هو أدنى منك مملكة *** وكنزه العين أحمال وأطنان
وأنت ترحل لا كنز ولا نشب *** ولا عقار ولا قصر ولا خان
المال كالعمر في درب الجهاد مضى *** فيء ووقف وأنفال وسلبان
نفسى فداء يمين منك قد فُلقت *** بالسيف "أرناط" والمنذور عطشان
لو افتدى بكنوز الأرض ما قُبِلت *** إن نال عرض رسول الله فتان
أسرت أقيال أوروبا وتعنتهم *** فشأنك الدهر غلاب ومنان
أخلاقكم هزمتهم قبل رايتكم *** فهل تزكى بريطانيا وألمان
لا يُبعد الله عكا إنها شهدت *** أن الوفاء مع الأنذال خسران؟

إذا قدرنا فإن الصفح شيمتنا *** وهم إذا قدروا غدر وختلان
 وحيثما لاح في أرجائها ذهب *** أو أبصروا النفط فالقديس قرصان
 "غورو" و"ريموند" و"النبى" وصاحبه *** كل على الغي سفاح وخوان
 قوم تراهم وحوش الحرب ما غلبوا *** وهم إذا عجزوا للسلم حملان
 ألا تراهم وقد قامت قيامتهم *** لما تطلع للإسلام بلقان
 خاطوا الأحابيل باسم السلم واجتمعت *** رغم العداوات أحلاف وأديان
 لا دين للغرب إلا حرب ملتنا *** وما عدا ذاك لا تسأل بما دانوا
 يأبى السلاح ويعطي القوت تعمية *** فالقوم صنفان جزار وتبان
 وهيئة الأمم النكراء مسرحهم *** ومن وراء خيال الظل أرسان
 ونحن نشكو إلى الجزار خادمه *** كيلا يقال "أصوليون" "أفغان"!!
 * * *

الشام أكثر أرض الله معرفة *** بغدرهم إذ غزاها منه غزوان
 ومثلهم ما تغشى الشام من محن *** لما تجبر هولاءكو وقازان
 وأقبل الجحفل الجرار من تتر *** كأنما أشعلت في الأرض نيران
 ولم تر الشام من يحمي محارمها *** بل فر بالخزي نواب وسلطان
 فقام بالأمر حبر الدهر أجمعه *** دمشق مدرجته والأم حران
 قام ابن تيمية في نصر ملتنا *** كصاحب الغار والردات ألوان
 ما شاءت الشام من سيف ومن قلم *** ما يشتهي المجد مغوار وميزان
 الجهبذ البارع الماضي مهنده *** لمنهج الوحي حفاظ وصوان
 الفلسفات تهاوت عند صولته *** كما تهاوى أمام الضيغم الضان
 وحطم المنطق المفتون ناظره *** وكل ما أسست للشرك يونان
 وللنصارى صراخ عند جولته *** وللروافض نواح وأنان
 وللتصوف أرصاد مسننة *** مثل الشهاب إذا ما ند شيطان
 إذا تأنق في المنقول مجتهد *** وإن تعمق في المعقول ربان
 كم جاء من بعده في العلم من علم *** فلم يقاربه فيما رام إنسان
 والكل من بحره الزخار مغترف *** تفيض منه الروايا وهو ملآن
 "درء التعارض" و"المنهاج" شاهدة *** وفي "الجواب" أعاجيب وبرهان
 وفي الفتاوى كنوز طاب معدنها *** وفي "البيان" على التعطيل بركان
 وفهمه في كتاب الله معجزة *** تحير العقل تأويل وتبيان
 والفقه بالحجة البيضاء حرره *** فقوله الفصل والمعيان قبان
 ماذا تُعدّد من جُلَى مناقبه *** وهل يقوم لموج البحر حسابان
 * * *

وهكذا الشام ما شاخت ولا عقلت *** إذا تدفق بالإسلام شريان

عهدي بها وعرى التوحيد تجمعها *** وشأنها اليوم أحزاب وأديان
فللنصارى حكومات وألوية *** وللقرامطة الأنتان سلطان
وللدروز بروز في محافظها *** وللروافض نواب وأعيان
أما اليهود فقل عنهم ولا حرج *** الدهر يعجب والتاريخ سكران
لولا حجارة أرض الطهر ما عرفوا *** طعم العقاب ولا أصغوا ولا هانوا
ثارت تزمجر والتكبير يرفعها *** وهز نخوتها قهر وعدوان
هَبْ الحكومات بالإرهاب تخنقها *** أليس في صمتنا للرفض عنوان
ربائب الروم بالقومية استتروا *** خانوا الشعوب وهم لله خوان
يشكون بالذل مما سامهم "نتن" *** وهم من الأصل أعيار وأنتان
كم أضجر الناس عهد الشجب كم لعنوا *** أبواق من ندودا باللفظ أو دانوا
وللبينات أسجاع مكررة *** يقيء منها على الإعلام أذهان
ثم انتكسنا فلا شجب ولا أمل *** في الشجب فالأمر تهويد وإذعان
أستغفر الله بل شجب ولولة *** إذا تخطى "رابين" و"كاهان"
وأصبح الهيكل الموهوم كعبتهم *** وشيكل النحس للبتروك أثمان
والبعث لا بعث بل خسف ومهلكة *** بئس الشعارات إلحاد وكفران
الكفر محكمة التفتيش تحرسه *** والناس صنفان ثوار وثيران
قامت على نحلة التثليث دعوتهم *** فلأقانيم أشكال وألوان
سودّ خيانتهم حمراً جنائتهم *** وحسبهم أن إحداها "حزيران"
فروا وهم في نرى الجولان - يا عجباً - *** من اليهود وهم في السهل ما بانوا
وأعلنوا أنها في يومها سقطت *** والساقطون هم الحكام إذ خانوا
لم يسكتوا وضباب الرعب يغمرهم *** عند النزال ولاهم للحمى صانوا
وللعمام تطبيل وبهرجة *** يغار إبليس منها وهو فتان
وربما أحرّ الدجال مخرجه *** إذ لا مكان له والقوم جيران

أهذه الشام أم عيناك زائغة *** وربما زاغ طرف وهو يقظان
وشئى بديع كسونه حضارتنا *** كيف انطوى فهو أطمار وخلقان
فانفض يدك من الدنيا وزينتها *** فإنما هي أطياف وأطيان
واتل الرثاء على الأطلال مفتتحاً *** لكل شيء إذا ما تم نقصان
مهما غلا الدمع فالمأساة ترخصه *** أو لم تجد فاستدن فالصب يدان
أهل الصبابة دعواهم مُزَوَّقة *** لولا المدامع ما بروا ولا مانوا
واعجب لنا كيف صار الضيم يجمعنا *** فنحن في القيد أقران وإخوان
وانظر إلى موطن الأبدال مرتهاً *** يلهو بمغناه دجال وزفان
يقول يا رب هذا الليل أثقلني *** فهل له آخر بالفجر مزدان
وهل إلى رمق بالبشر معتنق *** يزفه مورد بالعز ريان

أو تنقضي هذه الأحشاء زاوية *** وتنضب الروح والمشتاق ولهان

لا، ليس لليأس درب في مشاعرنا *** مهما تناوب للأرزاء حدثان
بقية السيف بالأبطال ممرعة *** والثأر جرح فإعصار فطوفان
وللبطولة عشق لا يبده *** وصل ولا يعتريه الدهر سلوان
وللعقيدة آساد مشمرة *** لكن تكنفها قهر وطغيان
هم الأحبة إن زاروا وإن هجروا *** هم الأخلاء إن حلوا وإن بانوا
أرض البطولات يا أسمى معاقلنا *** إذا ألمَّ بدين الله عدوان
ذات القرون إذا حانت ملاحمها *** ففي رحابك فسطاط وميدان
نجوز تيه الفيافي كي ننازلها *** ونمتطي البحر نصواً وهو هيجان
ونركب الخيل عرباً وهي حانقة *** وللمنايا كلاليب وأشطان
نقارع الموت والأهوال محدقة *** ونعتلي الريح والأجواء نيران
أتعجبين لأن الكفر أوثقنا *** حيناً وقد شهدت بالنصر أحيان
أم تجزعين لأن الظلم فرقنا *** أَللمشاعر حراس وخزان؟!
هذي الحدود رماح في محاجرنا *** فليزعموا أن هذا القلب أوطان
من وقعوا "ساكس ييكو" وإخوتها متى *** اعترفنا بهم؟! هل نحن قطعان
الحمد لله حبل الله يجمعنا *** فلا تفرقنا قيس وقحطان
أم تعبتين فبعض الصفح مودة *** للمستهام وبعض العتب غفران
والله لا نستقيل الحب ما برحت *** منا على البعد أكباد وأجفان
فليكتب الأرز ولتملل ضمائرنا *** ما شئت من موثق وليشهد البانال

المصدر: لجينيات

المصادر: